



## الحوار الإسلامي المسيحي في القرنين: الأول و الثاني الهجريين / دراسة في فصوص شيعية

پدیدآورده (ها) : وصفی، محمد رضا  
میان رشته ای :: المنهاج :: تابستان 1382 - شماره 30

از 35 تا 58

آدرس ثابت : <http://www.noormags.ir/view/fa/articlepage/209213>

دانلود شده توسط : رسول جعفريان  
تاریخ دانلود : 10/04/1395

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی (نور) جهت ارائه مجلات عرضه شده در پایگاه، مجوز لازم را از صاحبان مجلات، دریافت نموده است، بر این اساس همه حقوق مادی برآمده از ورود اطلاعات مقالات، مجلات و تأییفات موجود در پایگاه، متعلق به "مرکز نور" می باشد. بنابر این، هرگونه نشر و عرضه مقالات در قالب نوشتار و تصویر به صورت کاغذی و مانند آن، یا به صورت دیجیتالی که حاصل و بر گرفته از این پایگاه باشد، نیازمند کسب مجوز لازم، از صاحبان مجلات و مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی (نور) می باشد و تخلف از آن موجب پیگرد قانونی است. به منظور کسب اطلاعات بیشتر به صفحه [قوانين](#) و [مقررات](#) استفاده از پایگاه مجلات تخصصی نور مراجعه فرمائید.



پایگاه مجلات تخصصی نور

# الحوار الإسلامي المسيحي في القرنين: الأول والثاني الهجريَّين

## دراسة في نصوص شيعية

أ. محمد رضا وصفي\*

تمهيد

تسلط هذه الدراسة الضوء على تاريخ الحوار الإسلامي - المسيحي، بدءاً من ظهور الإسلام حتى نهاية القرن الهجري الثاني، وهي المرحلة الزمنية التي لم يوفها المستشرقون والباحثون حقها من البحث والتحليل، نظراً لقلة المصادر والمراجع عنها، ولهذا رأى هؤلاء أن الحوار، أو الجدل، بين الإسلام والمسيحية بدأ في القرنين الثالث والرابع الهجريَّين (العاشر الميلادي)، مستندين إلى الرسالة المنسوبة إلى من يسمى «عبد الله بن إسماعيل الهاشمي» إلى صديقه المسيحي النسطوري (عبد الله المسيح بن إسحاق الكندي)، يدعوه فيها إلى الإسلام ورد الكندي عليه<sup>(١)</sup>. وتمثل هذه الرسالة، في رأي هؤلاء، أول جدل يقوم بين الإسلام والمسيحية، أما الجدل الإسلامي - المسيحي الثاني، فقد قام به رجل مسيحي نسطوري، اعتقد الإسلام، وهو علي بن زين الطبرى<sup>(٢)</sup>.

الجدل الثالث، في هذا السياق، كان ردًا سجله على النصارى أبو عيسى الوراق (٢٩٧هـ)، عاش في القرن العاشر، وكان أحد رواد مدرسة بغداد الاعتزالية<sup>(٣)</sup>.

ويورد الدكتور عبد المجيد الشرفي، في الباب الثاني من كتابه: «الفكر الإسلامي في الرد على النصارى»، خمسة عشر نصاً صغيراً وكثيراً في الجدل الإسلامي<sup>(٤)</sup>.

\* باحث من إيران

غير أننا وجدنا أن باكورة هذا الحوار بدأت مع ظهور الإسلام، وهذا ما دلت عليه الكثير من النصوص في التراث الإسلامي، ولا سيما الشيعية منها، التي اعتمدت في هذه الدراسة، ولهذا الأمر أهمية كبرى في إظهار حقائق مهمة عن الحوار والجدل، بين الديانتين، ويبين هذا الحوار كم كان المسلمين والمسيحيون يسعون إلى معرفة وجهات نظر بعضهم بعضاً. ومن خلال هذه النصوص، يمكننا استشراف محاور الاختلاف واللقاء في الخطاب والمنهج، وقد اعتمدنا، هنا، على ذلك الحوار الوارد في النصوص والمصادر الإسلامية الشيعية القديمة، ويجب أن نشير إلى أن بعض هذه النصوص، وبسبب قوّة رواة تفاصيلها أو ضعفهم، تحتاج إلى دراسة علمية كاملة لتأكيد مصداقية هؤلاء الرواية، وهو جهد لا يتسع له هذا البحث، والباحثون المسلمين يعتمدون، في هذا السياق، على العلم المسمى بعلم الرجال.

### **الموقف من المسيحية في شبه الجزيرة العربية**

تحتاج دراسة الحوار الإسلامي - المسيحي إلى قراءة الموقف العام إزاء المسيحية في شبه الجزيرة العربية، ومن دون الاطلاع على الثقافة السائدة آنذاك، لن نستطيع تحديد طبيعة نظرة المسلمين إلى المسيحية. وبعبارة أخرى: لا يمكن قراءة الرؤية الإسلامية تجاه الكثير من القضايا إلا من خلال الفهم التاريخي للبيئة التي نشأت فيها.

لم تكن المسيحية، في شبه الجزيرة العربية، آنذاك، موحدة داخلياً، بل كانت هناك كنائس وتقاليد متعددة، والمفاهيم الدينية عندهم لم تكن ذات جذور فلسفية وعلمية، ويعتبر آخر: كان الإنسان على تماس، في حياته، مع الطبيعة القاسية، بعيداً عن الانشغال بالتفكير الديني وبالفلسفة وقضايا الكون ومعرفة الله.

ولم يكن هناك فكر مؤسسي منظم، لدى المسيحيين واليهود، وحتى عند المسلمين بعد ظهور الإسلام، بل كانت ثقافة الناس في ذلك الزمان شفوية، تعتمد، في الغالب، على الخرافات والأساطير.

وكانت هناك الكنيسة الأرثوذكسية، وهي كنيسة الدولة البيزنطية السائدة

## ● الحوار الإسلامي المسيحي في القرنين : الأول والثاني الهجريين

آنذاك<sup>(٥)</sup> ، كذلك كانت الكنائس السريانية الشرقية والغربية (النساطرة واليعاقبة)<sup>(٦)</sup> ، وقد مثّلت كلّ من الكنيستين : النسطورية واليعقوبية دوراً مهماً في الحياة العربية ، وكان أكثر العرب اعتنقاً وتعلّقاً باليعقوبية ، قبيلة غسان المنشورة في بلاد الشام ، بالإضافة إلى قبائل عربية أخرى ، وكان عددً من رؤساء العرب ومشاهيرهم يدين باليعقوبية : مثل قسّ بن ساعدة ، وهو من نجران ، وكان عدد من القساوسة والرهبان يقومون بنشر الدعوة وينشرون تعاليمها<sup>(٧)</sup> .

وتتفق الطوائف المسيحية ، النسطورية واليعقوبية ، مع الملكانية في أن المسيح ليس بعد ولا نبيّ ولا رسول بل هو إله في الحقيقة ، وهو ابن الله نزل من السماء وتجسد في إنسان تام كامل من مريم<sup>(٨)</sup> ، وباتحاده ، تعالى ، بالمسيح «حصلت للمسيح طبيعتان : طبيعة ناسوتية وأخرى لاهوتية»<sup>(٩)</sup> .

وفي كيفية النبوة ، تقول الملكانية بالنبوة الحقيقة ، والنسطورية بأن التزول والنبوة من نوع إشراق النور على جسم شفاف كالبلور ، واليعقوبية إن الأمر يتّأّى من الانقلاب ، أي أن الإله سبحانه انقلب لحمًا ودمًا<sup>(١٠)</sup> .

بالإضافة إلى النسطورية واليعقوبية ، كانت هناك فرق أخرى صغيرة منتشرة في أنحاء البلاد كالأبيونية ، وتعني بالعبرانية ، الرجال الفقراء ، وهم يهود متصرّرون ، اشتهروا بالزهد والتقدّف والابتعاد عن أكل اللحوم ، واتبعوا إنجيل متى ، ووصفوا المسيح بأنه ابن الإنسان ، وانتشرت هذه الطائفة في مكة ، وانتسب إليها كبار أهلها ، ومن بينهم ، القس ورقة بن نوفل ، ابن عم خديجة زوجة النبي محمد ﷺ ، والذي كان له الفضل في ترجمة الإنجيل من العبرية إلى العربية ، ومن بينهم أيضاً عبد الله بن جحش ، ابن عمّة النبي محمد ، وعثمان بن الحويرث وغيرهم<sup>(١١)</sup> .

وقد عرفت الصّرمانية ، في ما يلاحظ ، انتشاراً بين سكان الجزيرة العربية أكثر من الطائفة اليهودية ، وقد يعود السبب في ذلك إلى ما قدّمه ملك الروم لعرب اليمن من النّصرة والعون .

وجاء الإسلام بعقيدته الإبراهيمية التوحيدية التي تمتدّ جذورها إلى الديانتين اليهودية والمسيحية باعتبارهما ديانتين سماويتين<sup>(١٢)</sup> ، إلا أنه عارض بعض التقاليد

## ● أ. محمد رضا وصفي

والطقوس الدينية في تلك الديانتين، ولا سيما النظام الأكليروسي في المسيحية<sup>(١٣)</sup>، وفي الوقت نفسه تعاون مع العلمانية المسيحية (إن صح التعبير)، لا سيما على المستوى الاجتماعي.

وقد ألغى الإسلام أي إمكانية لتجسيد الطبيعة الإلهية، نافياً بشكل تام فكرة الثالوث المسيحية، وبهذا المسار العقدي حطم الإسلام النظام البنوي - اللاهوتي، الذي كان مهيمناً على التصورات المسيحية، لا سيما في العصور الوسطى حول التكوين الإلهي للتاريخ، التقديس، وتجميد الإله لذاته، ولهذا كان ظهور الإسلام بالنسبة للديانتين اليهودية والمسيحية نوعاً من الهرطقة والتحدي الديني - التاريخي، وكذلك كان تحدياً لمفهوم العلاقة بين الدين والدولة<sup>(١٤)</sup> الذي كان سائداً في الدولتين: البيزنطية والساسانية.

## المسيحيون ومقدساتهم من منظور الإسلام

من القضايا الرئيسية، لدى دراسة موضوع الحوار، أي حوار، بين فريقين، معرفة ما يحمله كل فريق من أفكار عن الفريق الآخر، وهو ما يسهل الوصول إلى نتائج إيجابية في الحوار نفسه.

سنحاول، في هذه الدراسة، الخوض في أحد جانبي الحوار المسيحي - الإسلامي، وهو الأفكار التي يحملها الجانب الإسلامي عن المسيحية ونمط تعاطيه إزاءها، وذلك لأن الجانب المسيحي عدّ، ومنذ البداية، ظهور الإسلام تحدياً للمسيحية ومقدساتها<sup>(١٥)</sup>.

وستقتصر، في بحثنا هذا، على النصوص الشيعية ورؤى أئمة الشيعة لأمرین:

١ - رؤية الإسلام للمقدسات المسيحية.

٢ - حقوق المسيحيين عند المسلمين.

## ٣ - رؤية الإسلام للمقدسات المسيحية

إنطلاقاً من محورية القرآن في نظرية الإسلام إلى القضايا المختلفة، رفض

## ● الحوار الإسلامي المسيحي في القرنين : الأول والثاني الهجريين

الجانب الإسلامي بعض المبادئ المسيحية ، كالشلّيث وربوبية المسيح ، لكن هذا الرفض القرآني لم يكن عدوانياً ، كما أنه لم يمنع المسلمين من البحث عن «كلمة سواء» مع «أهل الكتاب» ، تقوم على أساس «توحيد الله» وعدم الإشراك به ، والإيمان بما أنزل على الفريقين ، وقد ورد في القرآن الكريم : «آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد» [العنكبوت/ ٤٦].

إن الرفض القرآني لفكرة «تجسد الإله» ، لدى المسيحية ، يحمل طابعاً تحذيرياً ، بالدرجة الأولى ، من مغبة الانزلاق إلى درجة إنزال رب منزلة البشر ، أو بالعكس إلى المغالاة في رفع مرتبة الإنسان إلى منزلة الله<sup>(١٦)</sup>.

ولا بد لنا ، هنا ، من الإشارة إلى أن موقف القرآن متعاطف إلى أقصى الحدود مع المسيح الذي يعترف به كـ «رسول الله» وكـ «كلمته» ألقاها إلى مريم وروح منه ، فهو يصفه بأنه معجزة و «آية في العالمين» ، وبهذا فإنه - أي المسيح - يحتل مكانة متميزة في العقيدة الإسلامية ، الأمر الذي جعل الأساقفة يرون في ذلك إمكانية لفتح آفاق مهمة للحوار والتقارب في هذا المجال ، تماماً كما هي الحال بالنسبة للدراسات المريمية بشكل عام ، إذ إن تكرييم مريم العذراء ليس غريباً على المسلمين ، بل إنه يتصل مباشرة بالتوجه القرآني<sup>(١٧)</sup>.

وحيث إن منهجنا ، هنا ، يعتمد النصوص الإسلامية الشيعية ، فإننا سنركّز على نماذج من النصوص المنقولة عن نبي الإسلام وأئمّة الشيعة في هذا المجال.

وهنا لا بد من العودة إلى أقوال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، الإمام الأول عند الشيعة ، والواردة في كتاب «نهج البلاغة» عن السيد المسيح وأحواله : «إِن شئت قلت في عيسى بن مريم<sup>(١٨)</sup> ، فلقد كان يتوضأ الحجر ويلبس الخشن ويأكل الجسب<sup>(١٩)</sup> ، وكان إدامه الجوع<sup>(٢٠)</sup> ، وسراجه بالليل القمر<sup>(٢١)</sup> ، وظلاله في الشتاء مشارق الأرض ومغاربها ، وفاكهته وريحانه ما تنبت الأرض للبهائم<sup>(٢٢)</sup> ، ولم تكن له زوجة تفتنه<sup>(٢٣)</sup> ، ولا ولد يحزنه ، ولا مال يلفنه<sup>(٢٤)</sup> ، ولا طمع يذله ، ودابته رجاله ، وخادمه الله يداه»<sup>(٢٥)</sup>.

ويمكن للباحث أن يجد نصوصاً عديدة وردت على لسان نبي الإسلام وأئمّة

## ● أ. محمد رضا وصفي

الشيعة في سياق المواقف الأخلاقية التي قدموها، والتي كانوا يستندون فيها إلى آقوال السيد المسيح، وهي نصوص عديدة موجودة في المصادر التاريخية والحديثية.

### ٢ - حقوق المسيحيين عند المسلمين

يقتصر موضوعنا، هنا، على حقوق المسيحيين عند المسلمين، الأمر الذي يجب على الطرف المسيحي إدراكه في الحوار مع الجانب الإسلامي منذ القرنين الأول والثاني الهجريَّين، خصوصاً أن تلك المرحلة كانت تشهد التطبيق العملي لقانون أهل الذمة في المجتمع الإسلامي، من هنا تبدو أهمية تحديد ما إذا كان الجانب الإسلامي يحاور الجانب المسيحي من موقع استعلاني، أم من منطلق أن الإنسان حرٌ ذو عقيدة محترمة (هذا من المهم الإشارة إلى أسلوب الحوار الذي اعتمدته هشام بن الحكم).

ونورد، في هذا المقام، خمسة نماذج هي:

#### ١- الإنفاق على مسني النصارى من بيت مال المسلمين

ورد، في الأحاديث الشيعية، أن رجلاً نصرانياً كان يعمل عند أحد المسلمين، وعندما كبر وخارت قواه، تخلى عنه المسلم، فوصل الأمر إلى الإمام علي عليه السلام الذي أصدر حكماً عنيفاً ضد ذلك المسلم، وأمر بأن يدفعوا لذلك النصراني مثلما يستحق غيره من المسلمين من بيت المال.

نص الحديث: «أَرَ شِيخٌ مَكْفُوفٌ كَبِيرٌ يَسْأَلُ، فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا هَذَا؟ فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَصْرَانِي، فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : اسْتَعْمِلْتُمُوهُ حَتَّى إِذَا كَبَرَ وَعَجَزَ مِنْعَمَتُهُ، أَنْفَقُوكُمْ عَلَيْهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ»<sup>(٢٦)</sup>.

#### ب - منزلة المعاهدة عند الإمام علي عليه السلام

وعندما بلغ الإمام علي عليه السلام خبر ما فعله أحد الجنود المسلمين بالكتابيين عندما دخلوا مدينة الأنبار، قال لهم: «ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة، فيتنزع حجلها وفُلبُها وقلائدتها ورعشها، ما تمنع منه إلا بالاسترجاء والاسترحام، ثم انصرفوا وافرین، ما نال رجالاً منهم كلام ولا

## ● الحوار الإسلامي المسيحي في القرنين : الأول والثاني الهجريين

أريق لهم دم ، فلو أن امراً مسلماً مات من بعد هذا أسفًا ما كان به ملوماً ، بل كان به عندى جديراً<sup>(٢٧)</sup>.

### ج - حقوق أهل الذمة

أما رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين زين العابدين ع عليهما السلام ، وهو الإمام الرابع عند الشيعة ، فقد ورد في شرح حقوق أهل الذمة فيها ما يأتي : « وأما حق أهل الذمة : أن تقبل منهم ما قبل الله عز وجل منهم ، ولا تظلمهم ما وفوا الله عز وجل بعده ، وكفى بما جعل الله لهم من ذمته وعهده ، وتتكلهم إليه في ما طلبوا من أنفسهم ، وتحكم فيهم ما حكم الله به على نفسك ، في ما جرى بينك وبينهم من معاملة ، ول يكن بينك وبين ظلّمهم من رعاية ذمة الله والوفاء بعهده وعهد رسوله حائل ، فإنه بلغنا أنه قال : من ظلم معاهداً كنْت خصمه ، فاتق الله ، ولا حول ولا قوَة إلا بالله »<sup>(٢٨)</sup>.

من هنا يتبيّن أن الإسلام لا يكن لغير المسلمين أية عداوة أو بغضّاء ، بل يدعو إلى التعايش السلمي وإلى التعاون معهم .

### د - حسن المصاحبة

ذلك ورد في سيرة الإمام علي بن أبي طالب ع عليهما السلام عن تعامله الأخلاقي مع رجل ذمي ، ما يأتي : « إن علياً صاحب رجلاً ذمياً ، فقال له الذمي : أين تريد يا عبد الله ، قال : أريد الكوفة ، فلما عدل الطريق بالذمي عدل معه علي ، فقال له الذمي : أليس زعمت تزيد الكوفة ، فقال : بلى ، فقال الذمي : فقد تركت الطريق ، فقال : قد علمت ، فقال له : فلم عدلت معي وقد علمت ذلك ؟ فقال له : إن هذا من تمام حسن الصحبة أن يشيع الرجل صاحبه هنيهة إذا فارقه ، وكذلك أمرنا نبينا »<sup>(٢٩)</sup>.

### ه - سماحة في العدالة ودقة في المساواة

وفي موضوع العدالة والمساواة بين المسلم وغيره ، من وجهة نظر الإسلام ، نلاحظ النص الآتي : « فقد شكا يهودي علي بن أبي طالب لل الخليفة عمر ، فقال عمر علي : قم يا أبا الحسن فاجلس بجوار خصمك ، ففعل علي ، وعلى وجهه علامة التأثر ، فلما فصل عمر في القضية قال لعلي : أكرهت يا علي أن تساوي خصمك ؟

## ١٠. محمد رضا وصفي

قال: لا، لكن تألمت لأنك ناديتني بكنيني، فلم تسوّ بيننا، ومعلوم أن الكنية للتعظيم، فخشيت أن يظن اليهودي أن العدل ضاع بين المسلمين»<sup>(٣٠)</sup>.

ورُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه يوم القيمة»<sup>(٣١)</sup>.

### صيغ الحوارات الإسلامية - المسيحية

بيّنت الدراسات الأولى للحوارات التي جرت بين المسلمين والمسيحيين، على مر العصور، أنها اعتمدت على صيغ ثلات:

#### ١ - الصيغة الأولى

صيغة الحوار الجدلية الذي يجري عادة بالاستناد إلى الآيات القرآنية وعبارات الإنجيل، وهذا النوع من الحوار لا يجدي نفعاً، لأنه يعتمد على المفاهيم والمعتقدات المستقاة من الذات، أي إنه يعتمد على منطق الذاتية الدينية.

#### ٢ - الصيغة الثانية

صيغة الحوار الجدلية القائم على براهين تاريخية، ونذكر، على سبيل المثال لا الحصر، مسألة تحريف الكتب المقدسة عند المسيحيين، فتارة يتهمون بتحريف النص وطوراً بتحريف التأويل<sup>(٣٢)</sup>.

وقد استخرج المسلمون من الحديث عن التحريف وكتمان الشهادة، نصوصاً وإشارات محدوفة من العهدين تبشر بالنبي محمد، كالبارقليط في إنجيل يوحنا (الإصحاح ١٤)، وكذلك إشارات أخرى كثيرة توسع بعضهم في ذكرها وتأنيلها بشكل ينافق فهم المسلمين<sup>(٣٣)</sup>.

من ناحية أخرى، تتمسّك المسيحية بعدم الإيمان برسالة النبي الإسلام، وتؤكد ختم الأديان السماوية عند الدين المسيحي . . .

وهذا النوع من الحوار، يستوجب افتراضات مسبقة من قبل الطرفين، وهو ما يصعب عملية الحوار وتقبل الآخر.

## ● الحوار الإسلامي المسيحي في القرنين: الأول والثاني الهجريَّين

ولم تخلُ النصوص الشيعية من هذا النوع من الحوار الجدلِي، كالحوار الذي جرى في القرن الثالث الهجري بين الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، الإمام الثامن عند المسلمين الشيعة، مع جاثليق النصارى الذي خُصَّ جزء منه بمسألة ضياع نسخة الإنجيل الأصلية<sup>(٣٤)</sup>.

### ٣ - الصيغة الثالثة

صيغة الحوار القائم على أساس المنطق والبرهان، والمقصود بالبرهان، هنا، البرهان المستقى من غير ذات الدين، والمراد منه الكشف عن الحقيقة الدينية، هذه الصيغة من الحوار تعد الأهم بين جميع أنواع الصيغ الأخرى، وذلك لإمكانية التوصل معها إلى نتائج علمية وعملية.

هذه الصيغة تمثل ميزة أساسية للحوار الذي دار بين الجهات الإسلامية والمسيحية خلال القرنين: الأول والثاني، والذي ستحدث عنه قريباً، ولكن السؤال المهم هنا، يتعلق بماهية المنطق والبرهان المعترف بهما من قبل الديانتين المسيحية والإسلامية وأسسهما. فحسب ما هو معروف، بالإمكان القول: إن المنطق الإيماني في الديانتين هو منطق يوناني - أرسطي<sup>(٣٥)</sup>، كما أن الركيزة لهذا المنطق تعتمد مبدأ امتناع اجتماع القبيضين، على هذا الأساس فإن الحوار المشار إليه، هنا، يستند على فكرة الرفض والقبول لوجود التناقض أو التباين بين مفهومي الأب والابن.. بالاتكال على الخلفيات الكلامية والفلسفية لمفاهيم «الإله والبشر - الخالق والمخلوق - المطلق والمقيّد - الكلي والجزئي - الوحدانية المطلقة والوحدةانية المتوجّدة - واجب الوجود وممكن الوجود وغير ذلك».

فمثلاً، يعتقد الإسلام بأن الله لا يكشف للإنسان سر جوهره الكياني، وهذا ما تذهب إليه المسيحية، لكن المسيحية تلتزم التزاماً كيانياً بالتجسد واتخاذ الطبيعة البشرية موضعاً نسبياً لإظهار مدى تفاعل الله مع البشر، الأمر الذي يفضي إلى اختلاف جوهري في تصور ربوبية الله ووحدانيته بين المسيحية والإسلام.

كما أن الإسلام يعتقد بأنَّ مسألة الثالوث المقدس تؤول إلى نقض التوحيد، لأنها ترى أن  $1 + 1 = 3$ ، بينما المسيحية تراه من صلب التوحيد لأن  $1 \times 1 = 1$ .

فإذا كان مبدأ التوحيد الإسلامي هو التزيم الإلهي المطلق والربوبية المهيمنة، فإن مبدأ التوحيد المسيحي هو وحدة الحب الإلهي والربوبية المترشارة، لأن المسيحيين يرون أن تدبير الحب الخلاصي واحد في الثالوث الإلهي، أي في عمل الأب والابن والروح، وأن تأليه الإنسان هو الهدف الأقصى لهذا التدبير، وهذا الثالوث هو الذي يصون وحدانية الألوهية، إذ يضم الإنسانية طوال العصور إلى كيان الحب الإلهي<sup>(٣٦)</sup>.

### الحوار الإسلامي المسيحي في القرنين: الأول والثاني الهجريين

#### ١ - مفهوم ابن الله.. في حوار نبي الإسلام مع بعض الرهبان

أقدم حوار نقل عن الإمام الصادق عليه السلام ، في الكتب التاريخية الشيعية، هو الحوار الذي جرى بين نبي المسلمين صلوات الله عليه وآله وسالم وعلماء اليهود والنصارى، وجاء في كتاب الاحتجاج<sup>(٣٧)</sup> للطبرسي<sup>(٣٨)</sup>، إذ يظهر، من سياق الحوار، أنه حصل قبل دعوة النبي للمسيحيين لقبول نبوته والإيمان بكتابه.

وإذا ما تجاوزنا مسألة حصول هذا الحوار أو عدم حصوله، كما جاء في هذا الكتاب، وقبل أن نعرض لما ورد فيه، لا بد لنا من تعداد بعض النواحي الإيجابية فيه:

- ١ - المنهج السلمي في الحوار بين الطرفين.
- ٢ - سعي الطرفين إلى إجراء الحوار بشكل موضوعي.
- ٣ -أخذ القرار منذ البداية بأن نتيجة الحوار الساري لا تلزم الاعتراف بعقيدة الآخر (من قبل المسيحية واليهودية).
- ٤ - عدم تأثير الإعلان المسبق، من قبل محاوري النبي محمد صلوات الله عليه وآله وسالم ، جتنا «فقط» نسمع إلى ما تقول في مجريات الحوار.
- ٥ - طلب الاستدلال والحججة لكل ما يدعوه الطرفان.

أما محور الحوار فيتمثل في بحث كلامي في مفهوم الابن والأب وكيفية فهم

## ● الحوار الإسلامي المسيحي في القرنين: الأول والثاني الهجريين

المحدث والقديم من هذين المفهومين، والجدير بالذكر أن هذا الحوار لا يتطرق إلى موضوع نبوة النبي محمد ﷺ.

هنا نذكر ما ورد في هذا الحوار التفصيلي حسب ما نقل في كتاب «الاحتجاج» للطبرسي نقاً عن الإمام الصادق ع <sup>(٣٩)</sup>.

قال اليهود: نحن نقول عزير ابن الله <sup>(٤٠)</sup> وقد جئناك يا محمد لنتظر ما تقول، فإن ابتعتنا فنحن أسبق إلى الصواب منك وأفضل، وإن خالفتنا خصمتك.

ثم قال محمد ﷺ: أجيتموني لأقبل قولكم بغير حجة؟

قالوا (اليهود): لا.

قال محمد ﷺ: فما الذي دعاكم إلى القول بأن عزيراً ابن الله؟

قالوا (اليهود): لأنه أحيا لبني إسرائيل التوراة بعدما ذهبـت، ولم يفعل بها هذا إلا لأنه ابنه.

قال رسول الله ﷺ: فكيف صار عزير ابن الله من دون موسى، وهو الذي جاء لهم بالتوراة ورؤي منه من المعجزات ما قد علمتم، ولthen كان عزير ابن الله لما ظهر من إكرامه بإحياء التوراة فلقد كان موسى بالبنوة أولى وأحق، ولthen كان هذا المقدار من إكرامه لعزير يوجب له أنه ابنه، فإذا ضعاف هذه الكرامة لم يوجب له منزلة أجل من البنوة، لأنكم إن كتم إنما تريدون بالبنوة الدلالة على سبيل ما تشاهدونه في دنياكم من ولادة الأمهات الأولاد، بوظء آبائهم لهن، فقد كفرتم بالله وشبيتهموه بخلقه وأوجبتم فيه صفات المحدثين، فوجب عندكم أن يكون محدثاً مخلوقاً، وأن يكون له خالق صنعه وابتدعه.

قالوا: لسنا نعني هذا، فإن هذا كفر كما دلت، لكنّا نعني أنه ابنه على معنى الكرامة، وإن لم يكن هناك ولادة، كما قد يقول بعض علمائنا لمن يريد إكرامه وإبانته بالمنزلة من غيره «يا بنى» و«إنه ابنى» لا على إثبات ولادته منه، لأنه قد يقول ذلك لمن هو أجنبى لا نسب له بينه وبينه، وكذلك لما فعل الله تعالى بعزيز ما فعل كان قد اتخذه ابنًا على الكرامة لا على الولادة.

قال رسول الله ﷺ: فهذا ما قلته لكم، إنه إن وجب على هذا الوجه أن يكون عزير ابنه، فإن هذه المنزلة بموسى أولى، وإن الله يفضح كل مبطل باقراره، ويقلب عليه حجّته، إن ما احتججتم به يؤذكم إلى ما هو أكثر مما ذكرت له لكم، لأنكم قلتم إن عظيمًا من عظمائكم قد يقول لأجنبي لا نسب بينه وبينه: «يابني»، و«هذا ابني» لا على طريق الولادة، فقد تجدون أيضًا هذا العظيم يقول لأجنبي: «هذا أخي» ولآخر «هذا شيخي» و«أبي»، ولآخر «هذا أخي» ولآخر «هذا سيدتي» و«يا سيدتي» على سبيل الإكراه، وإن من زاده في الكرامة زاده مثل هذا القول، فإذاً يجوز عندكم أن يكون موسى أخاً لله أو شيخاً له أو أباً أو سيداً لأنه قد زاده في الإكرام مما لعزير، كما أن من زاد رجلاً في الإكرام، فقال له: يا سيدتي ويا شيخي ويا عمي ويا رئيسى على طريق الإكرام، وإن من زاده في الكرامة زاده في مثل هذا القول، فأفيجوز عندكم أن يكون موسى أخاً لله أو شيخاً أو عمًا أو رئيساً أو سيداً أو أميراً لأنه قد زاده في الإكرام على من قال له: يا شيخي أو يا سيدتي أو يا عمي أو يا رئيسى أو يا أميرى؟

قال: فبهت القوم وتحيروا، وقالوا: يا محمد أجلنا نتفكر في ما قد قلته لنا.

قال: انظروا بقلوب معتقدة للإنصاف بيهدكم الله، ثم أقبل على النصارى، فقال لهم: وأنتم قلتم إن القديم عزّ وجل اتحد بالمسيح ابنه، فما الذي أردتموه بهذا القول؟ أردتم أن القديم صار محدثاً كوجود هذا المحدث الذي هو عيسى، أو المحدث الذي هو عيسى صار قديماً كوجود القديم الذي هو الله، أو معنى قولكم إنه اتحد به أن اختصه بكرامة لم يكرم بها أحداً سواه؟، فإن أردتم أن القديم صار محدثاً فقد أبطلتم، لأن القديم محال أن يتقلب فيصير محدثاً، وإن أردتم أن المحدث صار قديماً فقد أحلمتم، إن المحدث أيضاً محال أن يصير قديماً، وإن أردتم أنه اتحد به بأنه اختصه وأصطفاه على سائر عباده، فقد أقررت بحدوث عيسى وبحدوث المعنى الذي اتحد به من أجله، لأنه إذا كان عيسى وذلك المعنى محدثين، وهذا خلاف ما بدأتم تقولونه.

قالت النصارى: يا محمد، إن الله لما أظهر على يد عيسى من الأشياء العجيبة ما أظهر فقد اتخذه ولداً على جهة الكرامة.

## ● الحوار الإسلامي المسيحي في القرنين: الأول والثاني الهجريين

فقال لهم رسول الله: فقد سمعتم ما قلت لليهود في هذا المعنى الذي ذكرت فيه، ثم أعاد ذلك كله فسكتوا إلا رجلاً واحداً منهم، فقال له: يا محمد، أولستم تقولون: إن إبراهيم خليل الله؟  
قال: قد قلنا ذلك.

قال: فإذا قلتم ذلك فلم منعتمونا من أن نقول: إنَّ عيسى ابن الله؟  
قال رسول الله ﷺ: إنَّهَا لِن يشتبها، لأنَّ قولنا إبراهيم خليل الله فإنما هو مشتق من الخلة، والخلة إنما معناه الفقر والفاقة، فقد كان خليلاً إلى ربه فقيراً إليه، وإليه منقطعاً وعن غيره متغفراً معرضًا مستغنياً... وإذا جعل معنى ذلك من الخلة، وأنه قد تخلل معانيه ووقف على أسرار لم يقف عليها غيره، كان الخليل معناه العالم به وبأموره، ولا يوجب ذلك تشبيه الله بخلقه، ألا ترون أنه إذا لم ينقطع إليه لم يكن خليله، وإذا لم يعلم بأسراره لم يكن خليله، وأن من يلده الرجل وإن أهانه وأقصاه لم يخرج عن أن يكون ولده، لأنَّ معنى الولادة قائم به.

ثم إن وجب - لأنَّه قال لإبراهيم خليلي - أن تقيسوا أنتم، فتقولوا: إنَّ عيسى ابنه وجب أيضاً كذلك أن تقولوا لموسى إنه ابنه، فإنَّ الذي معه من المعجزات لم يكن من دون ما كان مع عيسى، فقولوا: إنَّ موسى أيضاً ابنه، وإن يجوز أن تقولوا على هذا المعنى أنه شيخه وسيده وعمه ورئيسه وأميره، كما ذكرته لليهود... إلى آخر الحوار.

## تأثير مفهوم ابن الله في اللاهوت المسيحي على الفرق الكلامية الإسلامية

يتضح، من خلال الحوار آنف الذكر، أنَّ فهم المسلمين للقرآن، في قضية ابن الله، فهم مغاير لفهم المسيحية لهذا الموضوع<sup>(٤١)</sup>، وهذا المفهوم الكلامي الذي أخذ مكاناً خاصاً في الكلام اللاهوتي عند الإسلام والمسيحية، تجلت تأثيراته في الكلام الإسلامي في الاختلافات التي نشأت بين المتكلمين في مفهوم خلق القرآن، حسب رأي المعتزلة، وقدمه، حسب رأي الأشاعرة، وقد كان الفكر الشيعي مخالفًا للأشاعرة.

فقد ادعت المعتزلة أن الأشاعرة بأخذهم بعدم خلق القرآن أيدوا، في حقيقة الأمر، المفهوم المسيحي لكلمة LOGOH، ووّقعوا في المشكلة الكلامية نفسها، واستدل المعتزلة على ذلك بقولهم: إن إصرار الأشاعرة على عدم خلق القرآن يعني القول بقدمه مع ذات الباري وجعله شريكاً مع الذات الأزلية<sup>(٤٢)</sup>.

والملفت للنظر أن الأشاعرة كانوا، بدورهم، ينسبون تهمة كهذه للمعتزلة ويکفرونهم، مستدلين بأن كل من يصرّ على كون القرآن مخلوقاً، فهو يقارب معتقد الذين كانوا يقولون بأن القرآن من صنع فكر النبي<sup>(٤٣)</sup>، ويستشهد الأشاعرة بإحدى آيات القرآن التي قال الله فيها عن رأي المشركين في القرآن «إن هذا إلا قول البشر» [المذئث / ٢٥].

أما المتكلمون الشيعة فلم يقولوا إن القرآن مخلوق، بل استخدموها - اتباعاً لأهل البيت عليه السلام - تعبير المحدث بدل المخلوق «وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين» [الشعراء / ٥، والأنبياء / ٢]، ولذلك قال الشيخ المفيد، وهو من كبار علماء الشيعة: «وأقول: إن القرآن كلام الله وهبة، وإنه محدث كما وصفه الله تعالى، وأمنع من إطلاق القول عليه بأنه مخلوق، وبهذا جاءت الآثار عن الصادقين عليهم السلام»<sup>(٤٤)</sup>.

## ٢ - حوار ساخن بين نبي الإسلام ونصارى نجران

لا نريد أن نقوم بسرد تاريخي للذى حصل، وأفضى إلى أخذ القرار بالمباهلة بين النبي محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه ونصارى نجران، ولكن ما نريد أن نذكره هو موضوع «الحادي القديم» الذي أدى إلى حوار ساخن دارت فيه نقاشات كثيرة بين نصارى نجران والنبي محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه في ما يتعلق بمسألة الأب والابن في المفهوم الاهوتى.

أما مضمون النقاش، حسب ما ورد في تفسير القمي<sup>(٤٥)</sup> عن الصادق عليه السلام، فهو على الشكل الآتي: «إن نصارى نجران لما وفدوا على رسول الله، وكان سيدهم الأهتم والعاقب والسيد، وحضرت صلاتهم، فأقبلوا يضربون الناقوس وصلوا، فقال أصحاب رسول الله: يا رسول الله هذا في مسجد؟ فقال: دعوهם، فلما فرغوا دنووا

## ● الحوار الإسلامي المسيحي في القرنين : الأول والثاني الهجريين

من رسول الله، فقالوا: إلام تدعون؟ فقال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأنني رسول الله، وأن عيسى عبد مخلوق يأكل ويشرب ويحدث. قالوا: من أبوه؟ فنزل الوحي على رسول الله، فقال: قل لهم: ما تقولون في آدم أكان عبداً مخلوقاً يأكل ويشرب ويحدث وينكح؟ فسألهم النبي فقالوا: نعم، قال: فمن أبوه؟ فبهرتا، فأنزل الله: «إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب» وهناك نقل آخر للحادية<sup>(٤٦)</sup>.

### ٣ - المناظرات العلمية بين الإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام والمسيحية

ونعالج، هنا، الحقبة الممتدة من رحيل النبي محمد عليهما السلام حتى شهادة الإمام علي عليهما السلام، وبعبارة أخرى: الحقبة المعروفة بعهد الخلفاء الراشدين، فالمناظرات - أو بعبارة أدق الأسئلة والأجوبة - التي طرحت بين الإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام والمسيحية بشكل عام، كانت مناظرات علمية تشتمل على مطارحات فكرية مهمة.

والموضوع الذي يجدر ذكره تاريخياً، في هذا السياق، يتعلق بمعرفة السبب الذي أدى إلى تضاؤل دور الحوارات الساخنة في عهد الخلفاء الراشدين بمن فيهم الإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام<sup>(٤٧)</sup>

وللإجابة عن هذا السؤال، يمكننا لفت النظر إلى أن إجراء قانون الذمة الذي يستبطن إقراراً إسلامياً ببعضوية المسيحية في الهوية الاجتماعية للأمة، جعل المسيحيين يدركون، من خلال معاملاتهم وتجاربهم مع المسلمين، أنهم - أي المسلمين - ليسوا أتباع ديانة مخالفة لديانتهم المسيحية والإلهية، بل إن الديانة الجديدة تستقر في صلب الديانات السماوية السابقة.

وكذلك أثبتت هذه الحقيقة العقود التي أجريت مع أهل نجران<sup>(٤٨)</sup>، وتلك التي أجرتها الخلفاء الراشدون مع المسيحيين في دمشق، وقد شارك النصارى مشاركة إيجابية في كثير من أعمال الدولة، فقد اتخذ أبو موسى الأشعري أمير الكوفة كتاباً نصريانياً<sup>(٤٩)</sup>، كما ولّ الوليد بن عقبة، والي عثمان، رجلاً مسيحياً لإدارة شؤون المسجد القريب من الكوفة<sup>(٥٠)</sup>، وقد اشتغل المسيحيون بأعمال الصيرفة، وكانت الحركة المصرفية في مجملها بأيديهم، كما كانوا يقومون بعقد القروض لتسهيل

التجارة<sup>(٥١)</sup>، وعلى أي حال كان المجتمع مزيجاً من المسلمين وال المسيحيين إلخ . . . وكانت العلاقة بينهما وثيقة للغاية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى عرف المسيحيون أهمية القرآن ودوره بوصفه دستوراً ساماً للمسلمين، وتأكيده على حرية الفكر والمعتقد<sup>(٥٢)</sup>.

وعلى أية حال، سوف نستعرض هنا مناظرة أوردتها محمد بن بابويه القمي، المعروف بالشيخ الصدوق (٩١٠م)<sup>(٥٣)</sup>، وهي تشكّل أول مناظرة مباشرة بين المسيحيين والإمام علي بن أبي طالب عليه السلام<sup>(٥٤)</sup>.

ولكن المؤسف أن الكتب والمراجع القديمة لم تورد هذه المناقضة بأكملها، أما الصدوق، في كتابه «التوحيد»، فينقلها عن الراوي محياً إياها إلى زمن أبي بكر أول خليفة للمسلمين، وذلك بعد سنة من رحيل الرسول ﷺ، وبذلك يمكن لنا أن نحدّد تاريخ هذه المناقضة بعام ٦٥٧ م.

ونص المناظرة، كما أورده الشيخ الصدوق، كما يأتي: «فكان في ما سأله نصراني، قال له - علي عليه السلام - : أخبرني عن وجه رب تبارك وتعالى، فدعا علي عليه السلام بنار وحطب فأضرمه، فلما اشتعلت النار، قال علي عليه السلام : أين وجه هذه النار؟ قال النصراني: هي وجه من جميع حدودها، قال علي عليه السلام : هذه النار مدبرة مصنوعة لا يُعرف وجهها، وحالقها لا يشبهها: «وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَإِنَّمَا تَوَلَّوْنَا فَشَّ وَجْهَ اللَّهِ» [البقرة/ ١٠٩]. «وَلَا تَخْفِي مِنْكُمْ خَافِيَةً» [الحاقة/ ١٨]، قال النصراني: أخبرني عرفت الله بمحمد أم عرفت محمداً بالله عز وجل؟ فقال علي عليه السلام : ما عرفت الله بمحمد، ولكن عرفت محمداً بالله عز وجل حين خلقه، وأحدث فيه الحدود من طول وعرض، فعرفت أنه مدبر مصنوع، وإلهام منه وإرادة، كما ألمهم الملائكة طاعته وعرفهم نفسه بلا شبه ولا كيف».

وقد نقل الطبرسي، في كتابه الاحتجاج، قسماً آخر من هذا الحوار، ويخبرنا في المقدمة أنه قدم وفد من بلاد الروم إلى المدينة، على عهد أبي بكر، وفيهم راهب من رهبان النصارى، فأتى مسجد رسول الله ومعه بختي موقر ذهباً وفضة، وكان أبو بكر حاضراً، وعنده جماعة من المهاجرين والأنصار..

## ● الحوار الإسلامي المسيحي في القرنين: الأول والثاني الهجريين

٥ - نقاش في التثليث..! حوار بين هشام بن الحكم وبريهه المسيحي  
جرى هذا الحوار في منتصف القرن الثاني للهجرة، وتمثل أهميته في اعتبارات كثيرة، منها:

أولاً: ذكر اسم الجاثليق<sup>(٥٥)</sup> الذي غاب عادة في المصادر والمراجع.

ثانياً: إمام الجاثليق بعلم الكلام، ومحاججته علماء المسلمين في إطار النقاشات الساخنة والعلمية التي كانت تدور عادةً في الاختلافات العقدية بين الديانتين: الإسلامية واليسوعية.

ثالثاً: أهمية هشام بن الحكم على مستوى العلوم الإسلامية، ولا سيما علم الكلام.

رابعاً: احترام هشام بن الحكم للطرف المحاور، وتأكيده على عظمة السيد المسيح بالرغم من اختلافه مع الجاثليق في طبيعة النبي عيسى.

وقد ورد الحوار في كتاب التوحيد للشيخ الصدوق<sup>(٥٦)</sup> على الشكل الآتي:

«عن هشام بن الحكم، عن جاثليق من جنالقة النصارى يقال له بريهه: قد مكث جاثليق النصرانية سبعين سنة، وكان يطلب بالإسلام ويطلب من يتحجّج عليه من يقرأ كتبه ويعرف المسيح بصفاته ودلائله وأياته، قال: وعرف بذلك حتى اشتهر في النصارى وال المسلمين واليهود والمجوس حتى افتخرت به النصارى، وقالت: لو لم يكن في دين النصرانية إلا بريهه لأجزأنا، وكان طالباً للحق والإسلام مع ذلك<sup>(٥٧)</sup>، وكانت معه امرأة تخدمه، طالب مكثها معه، وكان يسر إليها ضعف النصرانية وضعف حجتها، قال: فعرفت ذلك منه، فضرب بريهه الأمر ظهراً لبطنه، وأقبل يسأل فرق المسلمين وال مختلفين في الإسلام: من أعلمكم؟ وأقبل يسأل عن أئمّة المسلمين، وعن صلحائهم وعلمائهم وأهل الحجى منهم، وكان يستقرىء، فرقة لا يجد عند القوم شيئاً، وقال: لو كانت أئمّتكم أئمّة على الحق لكان عندكم بعض الحق، فوصفت له الشيعة، ووصف له هشام بن الحكم.

فقال يونس بن عبد الرحمن: فقال لي هشام: بينما أنا على دكاني على باب

الكرخ جالس، وعندي قوم يقرؤون علي القرآن، فإذا أنا بفوج النصارى معه ما بين القسيسين إلى غيرهم نحو من مئة رجل عليهم السواد والبرانس، الجاثلية الأكبر فيهم بريهه حتى نزلوا حول دكانه<sup>(٥٨)</sup>، وجعل لبريهه كرسي يجلس عليه، فقامت الأساقفة والرهابنة على عصيهم، وعلى رؤوسهم برانسهم.

فقال بريهه: ما بقي من المسلمين أحد من يذكر بعلم الكلام إلا وقد ناظرته في النصرانية، فما عندهم شيء، وقد جئت أنا ناظرك في الإسلام.

قال: فضحك هشام، وقال: يا بريهه إن كنت تزبد مني آيات كآيات المسيح فليس أنا بال المسيح ولا مثله ولا أدانيه، وذلك روح طيبة خميسة<sup>(٥٩)</sup> مرتفعة، آياته ظاهرة، وعلاماته قائمة، قال بريهه: فأعججني الكلام والوصف، قال هشام: إن أردت الحجاج فههنا، قال بريهه: نعم، فإني أسألك ما نسبة نبيكم هذا من المسيح الأبدان؟ قال هشام: ابن عم جده (لأمه)، لأنه من ولد إسحاق ومحمد من ولد اسماعيل، قال بريهه: وكيف تنسبه إلى أبيه؟<sup>(٦٠)</sup> قال هشام: إن أردت نسبة عنديكم أخبرتك، وإن أردت نسبة عندينا أخبرتك، قال بريهه: أريد نسبة عندينا، وظنت أنك إذا نسبة نسبتنا أغليبه، قلت: فانسبة بالنسبة التي تنسب بها، قال هشام: نعم، تقولون إنه قديم من قديم<sup>(٦١)</sup>، فأيهما الأب وأيهما الابن. قال بريهه: الذي نزل إلى الأرض الابن، قال هشام: الذي نزل إلى الأرض الأب، قال بريهه: الابن رسول الأب، قال هشام: إن الأب أحكم من الابن، لأن الخلق خلق الأب، قال بريهه: إن الخلق خلق الأب وخلق الابن، قال هشام: ما منعهما أن ينزلا جمِيعاً كما خلقا إذا اشتراكا؟ قال بريهه: كيف يشتراكان، وهما شيء واحد، إنما يفترقان بالاسم، قال هشام: إنما يجتمعان بالاسم، قال بريهه: جهل هذا الكلام، قال هشام: عرف هذا الكلام، قال بريهه: إن الابن متصل بالأب، قال هشام: إن الابن منفصل من الأب، قال بريهه: هذا خلاف ما يعقله الناس، قال هشام: إن كان ما يعقله الناس شاهدانا علينا فقد غلبتك، لأن الأب كان ولم يكن الابن، فتقول: هكذا يا بريهه، قال: ما أقول هكذا، قال: فلم استشهدت قوماً لا تقبل شهادتهم لنفسك.

قال بريهه: إن الأب اسم، والابن اسم يقدر به القديم<sup>(٦٢)</sup>، قال هشام: الأسمان قديمان كقدم الأب والابن؟ قال بريهه: لا، ولكن الأسماء محدثة، قال:

## ● الحوار الإسلامي المسيحي في القرنين: الأول والثاني الهجريين

فقد جعلت الأب ابناً والابن أباً، إن كان الابن أحده هذه الأسماء دون الأب فهو الأب، وإن كان الأب أحده هذه الأسماء دون الابن فهو الأب والابن أبو، وليس ههنا ابن<sup>(٦٣)</sup>، قال بريهية: إن الابن اسم للروح حين نزلت إلى الأرض، قال هشام: فحين لم تنزل إلى الأرض فاسمها ما هو؟ قال بريهية: فاسمها ابن نزلت أو لم تنزل. قال هشام: فقبل التزول هذه الروح كلها واحدة، واسمها اثنان. قال بريهية: هي كلها واحدة، روح واحدة، قال: قد رضيت أن تجعل بعضها ابناً وبعضها أبواً، قال بريهية: لا، لأن اسم الأب واسم الابن واحد. قال هشام: فالابن أبو الأب، والأب أبو الابن والابن واحد.

قالت الأساقفة بلسانها لبريهية: ما مر بك مثل ذا قط، تقوم، فتحير بريهية وذهب ليقوم فتعلق به هشام، قال: ما يمنعك من الإسلام؟ أفي قلبك حرازة؟ فقل لها وإلا سألك عن النصرانية مسألة واحدة تبيت عليها ليشك هذا فتصبح وليس له همة غيري، قالت الأساقفة: لا ترد هذه المسألة لعلها تشكيك، قال بريهية: قلها يا أبو الحكم.

قال هشام: أفرأيتك الابن يعلم ما عند الأب؟ قال: نعم، قال: أفرأيتك الأب يعلم كل ما عند الابن؟ قال: نعم، قال: أفرأيتك تخبر عن الابن، أيقدر على حمل كل ما يقدر عليه الأب؟ قال: نعم، قال: أفرأيتك تخبر عن الأب، أيقدر على كل ما يقدر عليه الابن؟ قال: نعم، قال هشام: فكيف يكون واحد منهما ابن صاحبه، وهما متساويان، وكيف يظلم كل واحد منهما صاحبه؟ قال بريهية: ليس منهما ظلم، قال هشام: من الحق بينهما أن يكون الابن أبو الأب والأب ابن الابن، بت عليها يا بريهية، وافتراق النصارى وهم يتمتنون أن لا يكونوا رأوا هشاماً ولا أصحابه..»، إلى آخر الحوار الذي تجدد بينهما مرّة ثانية، حتى ذهب بريهية إلى الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكانت له نهاية خيرة وجميلة.

## الخاتمة

وفي الختام، لا نستطيع أن نتجاهل تأثيرات هذا الجدل الفكري بين الفكر التوحيد الإسلامي والمسيحية في إنشاء الأقوال المتنوعة في علم الكلام الإسلامي، وهو الأساس لوجود الفرق والاتجاهات المختلفة في الإسلام.

وكاتب هذه الدراسة يعتقد بأن الحوارات الواردة، ما كانت تستند إلى أساس الفكر التوسيعى السياسي، لكن تأثير اللاهوت المسيحي داخل الكلام الإسلامي فى نشأة الفرق ونموها وتأثيرها في مسار الحياة الإسلامية، والحوار الجدلی حولها بات يتوقف على بنائها ببواطث سياسية، وعلى صياغة فهم عقدي خاص بها، ولكنها في الوقت الذي شددت فيه على أفكار محددة، ابتعدت عن «كلمة سواء».

لذلك بلغ علم الكلام ذروته في القرن الرابع، وتحكمت في نشأته وتطوره، مجموعة ظواهر سياسية واجتماعية وثقافية كانت سائدة في المجتمعات الإسلامية آنذاك.

واليوم، إذا أردنا أن نطرح حواراً مجدداً في المسائل اللاهوتية، يجب أن نبتعد عن التفكير بمنظار ضيق، وأن لا نكرر ولا ننطلق في دراساتنا، وفي أنماط الاستدلال، من مواضيع جدلية، هي محل خلاف بين الديانتين، كما أنه من الضروري أن لا نعود إلى مناقشة المشاكل نفسها، والتحديات التي بحثها السلف وظل يدور في مداراتها، وأن نبدأ دائماً من حيث انتهوا، ولا ننتهي من حيث بدأوا من دون أن تقدم خطوة واحدة إلى الأمام في حركتنا.

فلمَّا ترك الغايات الجمّة المشتركة بين الأديان ونمسك بالخلافات في الحوارات الجدلية، الكلامية واللاهوتية، فالآجدى أن تتم الحوارات على أساس الفلسفة الجديدة - أي فلسفة الغايات - وأن نبحث عن الغايات في فلسفة الدين، وهذا ما نصبو إليه.



الفوامش:

- (١) انظر: جماعة من المؤلفين: المسيحية والإسلام مرايا متقابلة، مركز الدراسات المسيحية الإسلامية، جامعة البلمند، لبنان ١٩٩٧، ص ١٢ ، ويخبرنا د. رضوان السيد، في حاشية هذا المقال: «نشرت الرسائلان عدة مرات وأرجع هنا إلى نشرة العالم ١٩١٢ ، وقد وضعت أسمى الرجلين بين مزدوجين لأنهما لا يردا في المخطوط بل في الأصول الباقية للبروني».

... نذكر هنا أن د. عبد المجيد الشرفي، في كتاب الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع - العاشر (الدار التونسية للنشر - تونس ١٩٨٦ - ٥٨٠ صفحة)، يشكك في صحة نسبة هذه الرسالة إلى مسلم، ويعتقد أن مؤلفها نصراني، نظراً لهشاشتها - وقد وصفها ليسهل عليه نقضها - والهاشمي في نظره اسم مستعار استعمله المؤلف المسيحي قصد إضفاء صبغة واقعية على الحوار الذي وصف، ولا يمكن بالتالي إدراج الرسالة ضمن الردود الإسلامية على النصارى، (انظر: قراءة هيثم مزاحم على هذا الكتاب في مجلة الاجتهاد، العدد الثامن والعشرون، السنة السابعة صيف ١٩٩٥ م).

(٢) الرد على النصارى والدين والدولة هما كتابان لعلي بن زين الطبرى (١٥٧ - ٢٤٠ هـ)، نشر كتابه في الرد على النصارى الأبوان خليفة وكوتش - بيروت ١٩٥٩ م - وأما كتابه الدين والدولة فنشره منغانى في القاهرة عام ١٩٢٢ م.

(٣) د. رضوان السيد في مقالته، في كتاب المسيحية والإسلام مرايا متقابلة .. يذكر ثلاثة كتب من أعمال أبي عيسى الوراق، وراجع: المسيحية والإسلام مرايا متقابلة، ١٩٩٧، ص ١٥ ، كذلك الدكتور عبد المجيد الشرفي في كتابه «الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ...» يذكر بأن الثاني من كتاب «الرد على الثالث فرق من النصارى لأبي عيسى الوراق» نشره A.Abel عام ١٩٤٩ ونشر القسم الأول منه David thomas عام ١٩٩٢ وكلاهما، اعتماداً على كتاب يحيى بن عدي: «تبين غلط محمد بن هارون» الذي أورد نصوصاً طويلاً للوراق أعاد الناشران تركيبيها.

(انظر ص ٢٥٣ من الفكر الإسلامي في الرد على النصارى من مجلة الاجتهاد، العدد الثامن والعشرين صيف ١٩٩٥ م).

(٤) الشرفي، عبد المجيد، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع، الباب الثاني.

(٥) الأسئلة والأجوبة الواردة، في هذه الدراسة بين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الخليفة الرابع للMuslimين تتعلق بأصحاب هذه الكتبة.

(٦) السيد، رضوان، مجلة الاجتهاد العدد ٢٨، ١٩٩٥ م، العلاقات الإسلامية المسيحية ثقافة الحدل وثقافة الحياة.

● ١. محمد رضا وصفي

- (٧) أمين، أحمد، فجر الإسلام، ص ٢٩ - ٣١.
- (٨) مجموعة مؤلفين ورضوان السيد، المسيحية والإسلام مرايا متقابلة، ص ٢١.
- (٩) انظر تثبيت دلائل النبوة، ص ٩٤، وقارن مع مقتطفات من الكتاب الأوسط للناشئ الأكبر، ص ٦٧ - ٦٩ ، والتمهيد للباقلاني ، ص ٨٧ و ٨٨ .
- (١٠) الطباطبائي ، محمد حسين ، تفسير الميزان ، المجلد الثالث ، ص ٢٨٣ .
- (١١) حسين هيكل ، محمد ، حياة محمد ، ص ١٢٧ .
- (١٢) الطباطبائي ، محمد حسين ، تفسير الميزان : ٣ : ٢٥٣ .
- (١٣) التوبية ١٨٧ : اتخذوا أخبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله .
- (١٤) مونتغمري واط ، تأثير الإسلام على أوروبا في القرون الوسطى (موسكو ١٩٧٦) ص ٨ - ١٠ بالروسية .
- (١٥) القديس يوحنا الدمشقي ، الهرطقة المئة ، الناشر غير معلوم ، عام ١٩٩٧ ، بالعربي .
- A.merad. Dialogue Islamo - chertien pour la rexitrectie d'un Ian guafe commun  
 Islami cheridtiam - vol- I (Rom. 1982) P.O. 17.
- (١٧) جورافسكي ، أليكسى ، الإسلام والمسيحية (من مجموعة عالم المعرفة) ، ١٩٩٦ المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب ، الكويت ، ص ١٤٨ و ١٤٩ .
- (١٨) الخطبة ١٦ / ٢٠ .
- (١٩) قارن مع لوقا ٦ : ٤ .
- (٢٠) قارن مع متى ٤ : ٢ .
- (٢١) قارن مع لوقا ٦ : ١٢ .
- (٢٢) قارن مع لوقا ١٢ : ٢٢ - ٣١ .
- (٢٣) قارن مع متى ١٩ : ٢٣ و ٢٤ .
- (٢٤) نفسه .
- (٢٥) قارن مع يوحنا ١٣ : ١٣ - ١٨ .
- (٢٦) الشيخ الطوسي ، تهذيب الأحكام ، دار الأضواء ، بيروت ، ١٩٩٠ ، ص ٢٥٤ .
- (٢٧) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، دار الجيل ، بيروت ١٩٨٧ ، ٢ : ٧٤ .
- (٢٨) القبانجي ، حسن ، شرح رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين زين العابدين ، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر ، ١٤٠٦ هـ ، ص ٥٧١ .
- (٢٩) نفسه ، ص ٥٨٢ .
- (٣٠) نفسه ، ص ٥٩٠ .
- (٣١) نفسه ، ص ٦١٥ .
- (٣٢) جماعة مؤلفين ورضوان السيد ، المسيحية والإسلام مرايا متقابلة ، ص ٢٥ ، قارن مع رأي الحسن بن أبيوب في الجواب الصحيح ٢ / ٣٤٤ - ٣٤٠ .

## ● الحوار الإسلامي المسيحي في القرنين : الأول والثاني الهجريين

(٣٣) نفسه، كذلك علي بن زين الطبرى : الرد على النصارى، ص ١١١ والجواب الصحيح ٢٦٣ - ٢٧٩ / ٣ EFRITSCH: ISLAMUND - CHRIDTENTUN. OP. CI T.79.

(٣٤) أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (القرن السادس)، الاحتجاج، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات، لبنان ١٩٨٩ م، ص ٤١٥ - ٤٢٤ ، جدير بالذكر أن صاحب أعيان الشيعة، العلامة محسن الأمين، يعد راوي هذا الحديث ضعيفاً.

(٣٥) انظر، المسيحية والإسلام، مريما متقابلة، م.س. ، ص ١٨ .

(٣٦) باسيل عون، مشير، بين المسيحية والإسلام، المكتبة البوليسية، لبنان ١٩٩٧ ، ص ٥٢ - ٦١٥ - ٥٧ .

(٣٧) أبو منصور أحمد بن علي أبي طالب الطبرسي، الاحتجاج، ١ : ٢٢ - ٢٧ .

(٣٨) أحمد بن علي أبي طالب الطبرسي - أبو منصور - من علماء القرن السادس الهجري القمرى .

(٣٩) وهنا، ومن خلال سياق البحث، يمكن لنا أن نستكشف أن هذا الحوار جرى في المدينة لأن أحد علماء المسيحية رد فقال: لماذا أنتم تقولون ابراهيم خليل الله؟ ما يدل على أن هذا الحوار نزل بعد نزول هذه الآية المكية .

(٤٠) راجع الآيات القرآنية (٩ : ٣٠ - ٩ : ٣١ )، وقال بهذا الرأي طائفة من أسلافهم اليهود - يقال لهم المؤمنية .. وسبب ذلك لما أحياه الله بعد مئة عام (يقصد به عزير) فتلا عليهم التوراة عن ظهر قلب يهدّها كهد الثغر، وهم لا يقرؤنها عن ظهر قلب ، فقالوا هذا ابن الله .. .

DISPUTATIO PRO RELIGIONE MOHAMMEDANORUM ADVERSUS  
CHRIDLANOS F.J.VAN.

DEN HAM, TEXTUM ARABICUM, E CODICE LEIDENSI, CUM VARR LECT, PP.  
187-188. LUGDUNI BATAVORUM, E.G. BRILL, 1890.

جدير بالذكر أن هذه العقيدة ليست عقيدة معترف بها عند غالبية اليهود .

vgl. L Hagemann, Prophetenzeugendes. Glaubend. Koranische und biblische Deutungen (Religion swissenschaftlich studien 26) wurzburg - Al tenderge 1993, 91 ff.

(٤٢) انظر: الأبحاث التطبيقية في الفلسفة الإسلامية، السيد مصطفى محقق داماد، دار حوارزمي سنة ١٩٨٩ م، طهران، ص ٤٨ .

(٤٣) انظر: رسالة عبد الله بن إسماعيل الهاشمي إلى عبد المسيح بن إسحاق الكندي يدعوه فيها إلى الإسلام، ورسالة عبد المسيح إلى الهاشمي يرد فيها عليه ويدعوه إلى النصرانية من ١٢٨ - ١٥٢ . فتقول رفضاً أن القرآن كتاب سماوي «إنه ينبغي لك أن تعلم أولاً كيف كان السبب في هذا الكتاب (القرآن) ، ثم تدعى حينئذ مثل هذه الدعاوى المتنقلة لا بقاء لها على المحنة ولا ثبات على الفحص» .

(٤٤) أوائل المقالات ، مؤسسة إسماعيليان عام ١٤١٧ قم ، ص ٥٢ .

(٤٥) الطباطبائي ، محمد حسين ، تفسير الميزان : ٣ ، ذيل تفسير آية ٦١ - ٦٣ من آل عمران ،

- ﴿فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ، فَقُلْ: تَعَالَوْا نَدعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ، ثُمَّ نَبْتَهِلُ، فَنَجْعَلُ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَافَّيْنِ، إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصْصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، فَإِنْ تَوْلُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾.
- (٤٦) القزويني، محمد كاظم، على عليه السلام من المهد إلى اللحد، ١٩٩٢، ص ١٢٠.
- (٤٧) انظر: تفسير الميزان لمحمد حسين الطباطبائي ٣: ٢٥٣.
- (٤٨) انظر: العرب النصارى، الطبعة الأولى، حسين العودات، دمشق، ١٩٩٢.
- (٤٩) عيون الأخبار ١: ٤٣.
- (٥٠) الأغاني ٤: ١٨٤.
- (٥١) خطط الكوفة: ١٨٤.
- (٥٢) انظر: التفاسير التي وردت في كتب تفاسير القرآن، حول آية ﴿لَا إِكْرَاهٌ فِي الدِّينِ﴾.
- (٥٣) المتوفى سنة ٢٨٠ هـ. ق. ، وهو من كبار علماء الشيعة.
- (٥٤) علي عليه السلام، زمن الحوار مع مسيحييبني نجران، كان موجوداً، وكان أحد الأعضاء الخمسة الذين أخذهم محمد عليه السلام معه لأجل المباهلة مع النصارى.
- (٥٥) الجاثليق صاحب مرتبة من المراتب الدينية والنصرانية، ويعدها مراتب أسماؤها: مطران، أسقف، قسيس، شمامس، وقبل الجاثليق مرتبة اسم صاحبها بطريق، والكلمات سريانية، قوله: جاثليق النصرانية بالنصب حال من فاعل مكث؛ أي مكث برية سبعين سنة حال كونه صاحب هذه المرتبة في النصرانية.
- (٥٦) كتاب التوحيد للصدوق، دار المعرفة بيروت، ١٩٨٠، ٢٧٠ - ٢٧٥.
- (٥٧) في نسخ (ج) و(ط): «وكان طالباً لحقوق الإسلام مع ذلك».
- (٥٨) في نسخة (و) و(د): «وحتى يركوا حول دكاني».
- (٥٩) أي حالية متزهنة من الرذائل النفسية والكدرات المادية.
- (٦٠) أي كيف تشبه إلى إسحاق فالسؤال للاستبعاد، أو كيف تشبه إلى الله الذي هو أبوه عندنا، فيكون سؤال جدال، والثاني أظهر.
- (٦١) هذا مذهب جمهور المسيحيين إلا آريوس كبير فرقة منهم، فإنه يقول: إن المسيح كلمة الله وابنه على طريق الاتخاذ، وهو حادث مخلوق قبل خلق العالم.
- (٦٢) أي يقدر القديم الذي هو الأب بسببه على الخلق، أو من التقدير، أي يقدر الخلق بسببه، وفي نسخة (ج): «والابن اسم يقدر القديم»، وفي نسخة (و): «والاسم ابن بقدرة القديم».
- (٦٣) في البحار باب احتجاج الكاظم عليه السلام، وفي النسخ الخطية عندي: «وإن كان الأب أحدث هذه الأسماء فهو ابن والأب أب وليس ههنا ابن».

□ □ □